المشرق

تفكهة الاذهان

في تعريف ثلاثة اديان

لحضرة الاب العالم والباحث المتفنن انستاس الكرملي البغدادي

ان من تفقَّد اديان الشرق نمَّا يقف عندها منذهلًا ممَّا يرى من كثرتها واشتباك شُعَبها وهي قد ضربت اطنابها فيه منذ عصور طوالٍ خوالٍ. ومع ما تشاهد من تعدُّدها وتنوُّعها لا تجد من قام بوصفها وذكرها من ابناء هذه البلاد فوفَّى حقَّها من التفاصيل التي تجدر بها. واذا وقفت على من طرقوا هذا الباب في المائة المنصرمة من الناطقين بالضاد وجدتهم كلهم صحفيين اي قد اخذوا علمهم عن الصُّحُف لا عن استاذ او خبير او شيخ او ما ضاهى ذلك. واغلب كتبة هذه الصحف الأجناب وهؤلاء انَّما يكتبون عن اهالي قواصي البلاد كتابةً ينقصها التبحُّر والاستقصاء اذ انهم يدوِّنون كل ما يتلقَّونهُ عن فم هذا وذاك فيجمعون بين الغثّ والسمين وبين القضّ والقضيض وليس لهم وقتٌ يتفرَّغون فيه للغور في الحقائق والفرص في بحارها الزاخرة لاستخراج لآلئها الفاخرة. وما ذلك الَّا لانهم يأتون هذه الربوع بمنزلة السيَّاح والروَّاد او الرُّحَّل ولا تَرِد على هذا القدر ويكاد لا يقيمون بين ظهراني اصحاب تلك البلاد الَّا بقدر نَغبة طائر او طرفة ناظر بالنسبة الى ما يجب عليهم ان يمكثوا لمثل هذه الامور الخطيرة. الَّا انهُ يشذُّ عن هذه القاعدة ما تخطَّهُ ايدي المرسلين فانهم لا يتحرَّون بحثًا الَّا ويدقِّقون فيه النظر

ويمعنون في استقصاء حقيقته وينهجون فيه نهجاً قويماً . ومن العجب اننا لم نرَ من العجم والعرب من تعرَّض للكلام عن ثلاثة اديان قد ضربت بجرانها في ولاية الموصل وهي ديانة الصارليَّة والياجوران والشبك مع انها من القرابة بمنزلة رفيعة . هذا واني وان لم اطأ تلك الديار الَّا اني شافهت واحداً من ابناء تلك الاقطار وقد طوى بين أظهرهم ٢٥ سنة متماطياً مع اصحاب تلك الشيع ضروب الاشغال فوقف على دخلة امرهم ولذلك تحفَّيتُ في السؤال عن اصحاب تلك النِّحل وبادرت في تدوينها حتى اذا اطَّلع عليها قوم من سكان تلك الاصقاع مِمَّن لهم فيها معرفة واسعة يزيدها تفصيلًا ان رآها ناقصة ويقوّم تناتها ان رأى فيها اودًا ولهُ من القرَّاء الشكر الجزيل والاجر الجليل

١ الصارليَّة (Les Ṣarlyeh)

١ً (تعريفهم وموطنهم) الصارليَّة بصاد في الاول بعدها الف وبيا راء ساكنة ثمَّ لام مكسورة فياء مشدَّدة جيلٌ من الناس لهم ديانة خصوصيَّة بهم لا يدين بها غيرهم وهم مبثوثون في ارجاء الموصل وفي انحاء بعض البلاد الفارسية ممَّا يلي تخوم بلاد الدولة العلية . امَّا القرى التي توطَّنوها في ولاية الموصل فهي قرية « تلّ لبن » و« بَاطْلِيَّة » و« وكَبَرْلي » و« خراب السلطانة » وكلها متجاورة واصل هؤلاء الناس من بلاد ايران

٢ً (لغتهم) ان لغتهم خليط من الكردية والفارسيَّة والتركيَّة . والصارليَّة الذين يسكنون بجوار الموصل يُحسنون ايضاً التكلم بالعربيَّة

٣ً (ديانتهم) ليس الصارليَّة فرقة من فرق الاديان الكبرى بل هي شيعة قائمة برأسها واصحابها يوحّدون الله ويؤمنون ببعض الانبياء ويقولون بالنواقب الاربع اي بالموت والبعث والجنة والنار . وهم لا يصومون ولا يصلُّون ولا يسجدون بشيء من ذلك لمن يروم تحرّي هذه القُربات والطاعات . ومن غريب امرهم ان الجنَّة عندهم تُباع وتُبتاع والمتصرّف ببيعها شيخٌ واحد ليس لهُ خطير بعده في الفرقة كلها جمعاء ويعقبهُ في هذا الكعب الاعلى ابنهُ البكر بعد وفاة والده . والبيع يكون بالأذرع وبموجب الموطن الذي يريد الواحد ان يكون فيه في العلّيين ولا تقلّ قيمة الذراع عن مائة بشلك (والبشلك ربع مجيدي) امَّا زمان هذه السوق فهو ابّان الحصاد . فيأتيهم الشيخ ويعرض

عليهم الجنة فيأتيه الواحد مثلاً ويشتري ذراعاً او ذراعين او غير ذلك حسب حالهِ من الثروة ثمَّ ينقدهُ المبلغ من ساعتهِ فيكتب الشيخ صكًّا يقول فيهِ: « قد بعت فلان بن فلان من الجنة كذا من الاذرع وقد قبضت الثمن نقدًا ». ثم يختم الكتاب بخاتمهِ ويسلّمهُ بيد المشتري. واذا اراد الصاولي ان يوسّع ملكهُ في الآخرة فلا باس من ذلك بشرط ان يفعل هذا الفعل في الموسم من قابل وان لا يشتري شيئاً بنسيئةٍ. امَّا الصك فيحافظ عليهِ صاحبهُ ولا تحافظتهُ على حياتهِ. وعند موتهِ يوضع في جيبهِ حتى اذا وافى دار الخلود يقدّمهُ للبوّاب المعروف باسم « رضوان » فللحال يدخلهُ ويُجلسهُ في المحل المبتاع بدون حجاج او نزاع

وعلّة تسميتهم بالصاوليّة « على ما يزعمون » ان اللفظة مأخوذة من قولهم: « صارت (الجنة) لي (بالابتياع) » فنُحتت وقيل للواحد « صاولي » وللجمع « صاوليّة » وغير خافٍ ما في هذا الزعم من الخطأ والوهم لانهم ليسوا من ابناء العرب ليحسنوا هذا التصرّف باللغة وانما هم من ابناء فارس واللغة فارسية مرتجلة غير اني لم اقف على معناها

ومن شعائر دينهم ان هذا الشيخ يوافي قومهُ مرَّة ثانية في رأس السنة القمريَّة فيعمد كلُّ رجل « متزوّج » صاحب امرأة حيَّة الى ذبح ديك فيطبخهُ مع ارز او قمح او طعام آخر ممَّا ليس فيهِ مرق وبعد ذلك يأتي بهِ الى الشيخ فيضعهُ هذا على سُفرة طويلة والديكُ وراء الديك الى ان يتمّ العدد فيأتي الرجال ومعهم نساؤهم فيجلس الرجال على الشق الواحد والنساء على الشق الآخر وقبل ان يبدأوا بتناول العشاء يقوم الشيخ فيعظهم ثم يصلي على الطعام ويُباركهُ وبعد ذلك يأخذون بالاكل. ويسمون هذا الابتداء « اكلة الحيَّة » واذا فرغوا من ملء بطونهم ينهض الشيخ فيقول: « ان هذه الليلة هي ليلة عظيمة ومن عرف امرأتهُ فيها فالمولود يكون مكرَّمًا عندهُ تعالى ورفيع المنزلة » وبعد ان ينتهي من مثل هذا الكلام يأمر باطفاء السرُج والأنوار وحينئذٍ تجري امور بينهم يأنف القلم من تسطيرها. الَّا انهم يزعمون ان ما يرويه الناس عنهم هي اكاذيب مختلقة لا حقيقة لها ولا سند. وهم يسمون هذه الليلة « ليلة الكفشة » واللفظة مشتقة من كفش بالفاء اي قبض ومسك وسبب التسمية واضحة

ولا يجوز للشيخ عندهم ان يحلق شاربهُ او لحيتهُ ولهذا ترى لحاهم اطول من

لحية التيس واذا أراد الركوب او السفر طواها طيّات وجعلها في كيس لهُ لهذه الغاية ولا ينشرها الّا عند إتيانه العصا

وهم يبيحون الطلاق . والإضرار عندهم شائع . وصداق الابنة ويبلغ بعض الاحايين الف بشلك يأخذهُ ابوها

اما كتابهم الديني فلم استطع ان اعرف عنهُ شيئاً الّا انهُ فارسي العبارة

٤ً (صناعتهم) لا صناعة لهم الّا الفلاحة وتربية الغنم والمواشي

ب الباجوران (Les Badjoran)

١ً (تعريفهم ومحلّ وجودهم) الباجوران بباء في الاول يليها الف بعدها جيم حركتها بين الفتحة والضمة ثم واو ساكنة يليها راء مفتوحة فالفٌ فنونٌ جيلٌ من الناس لهم دين خصوصي بهم يسمونهُ : « اللّاهي (Allâhy) » وهم منبثّون في القرى المجاورة لولاية الموصل . ومن هذه القرى « عُمَر كان » و « تيراخ زيارة » و « تلّ يعقوب » و « بَشيتا » وغيرها . ومن هؤلاء من هم منتشرون في بلاد ايران وبالاخصّ في القرى المتاخمة للبلاد العثمانية . واصل نشأتهم من البلاد الفارسية ايضاً

٢ً (لغتهم) ان لغتهم وان كانت مزيجاً من اللغات الثلاث المعروفة في تلك الاصقاع اي الفارسية والكردية والتركية الّا انها لا تشبه بشيء لغة الصارليّة وان كانت هذه ايضاً مركّبة من نفس هذه اللغات الثلاث كما مرّ بك . والباجوران الموجودون في البلاد العثمانية يحسنون التكلم ايضاً بعربية تلك الديار

٣ً (دينهم وبعضٌ من شعائرهم) قد علمتَ ان لهم ديناً خاصاً بهم لا يدين بهِ غيرهم وهم يسمونهُ « اللاهي » ولُباب معتقدهِ انهم يوحّدون الله ويحبّون الانبياء الّا انهم يعظّمون اسماعيل تعظيماً دونهُ تعظيم سائر الانبياء . ويستحلّون شرب المسكرات حتى ان ائمّة مذهبهم لا يستنكفون منها . ورؤساءهم كثيرون وبكل رئيس منوطة عناية ست أسر او سبع ومنها تجري عليهِ ارزاقهُ . ولا يحقّ لهُ ان يسترزق من العيال التي ليست تحت رعايتهِ . والصوم عندهم حرام وهم لا يعرفون الصلاة ابداً . الّا ان لهم حفلة دينيّة غريبة في بابها تجري في بعض اعيادهم . وهي انهُ يوم يزور فيهِ الرئيس رعيّتهُ يعمد الرجل الى سَلّة سبع بيضات من البيض النريض ابن يومهِ ثم

تُجمع بيوض جميع تلك البيوت وتُجعل في الدار التي ينزل فيها الرئيس فيأخذ هذا بتقشير البيض واحدة واحدة وبعد ذلك يُخذَل ببكين كل واحدة منها سبع خذاعيل ويجعلها في وعاء واحد ثم يشرب الحضور مسكرًا وبعد ذلك يصلّي الرئيس على البيض وهي الصلاة الوحيدة الموجودة عندهم ثم يقول ما معناهُ: « هذا البيض هو قربان اسماعيل فلا يجسرنَّ الواحد منكم ان يدنو منهُ ويتناول شيئًا من ذلك ما لم يقرّ جهارًا بالاثم الذي اجترحهُ وبالدنايا والخطايا التي ارتكبها » فحينئذٍ يعترف كل واحدٍ من الجلوس بالخطيئة التي ركب مطيّتها من سرقة وقتل وزنى وحِنث وتجديف وكفر الخ وبعد ذلك يتقدّمون الى تناول الطعام

ومن فرائض دينهم نَدب الحسين في ايّام العاشوراء وفي بدء تلك الايام يأخذون عدّة اولاد يجرحونهم بمديةٍ فوق المرفق من الجانب الإنسي ويجولون بهم في البيوت ليتذكّروا احزان الحسين واوجاعهُ ثم يصرف السَّكن هؤلاء بأُمنظةٍ مهما كانت وبالاخصّ ينفحونهم بشيء من الحبوب والقطاني فيأتي بها هؤلاء الى بيت معارم وفي النهار التاسع تُطبخ معًا جميع تلك الاطعمة ويسمون الحاصل من هذا الطبخ « كَشَا » فيوزّعون منهُ على جميع الدور من المتمسكين بعروة دينهم

والطلاق عندهم جائز كما انَّ الإضرار (تعدُّد الزوجات) عندهم جارٍ

امّا كتابهم الديني فليس لهُ ذكر بين الناس

٤ً (صناعتهم) لا مهنة لهم سوى الزرع وتربية الضرع على حدّ ما يفعل الصابليَّة المتقدم ذكرهم

ج الشَّبَك (Les Chabac)

١ً (تعريفهم وموطنهم) قد جاء ذكر الشبك استطرادًا (في المشرق ٢ : ٣٩٥ في الحاشية في الكلام عن اليزيديَّة) وهم جيل من الناس من عُنصر كردي لا يُعرف لهم دين خصوصي وهم منبثُّون في قرى عديدة منها: « عليّ رشّ » و « يَنكيجا » و « خَزْنة » و « تَلّارة » وقرى اخرى عديدة في اطراف جبل سنجار ومنهم من هم منتشرون في بلاد ايران على تخوم البلاد العثمانية

٢ً (لغتهم) تختلف عن لغتي الجيلين المذكورَين وان كانت هي ايضًا خليط من الكردية والفارسية والتركيَّة ويعرف اصحابها ايضًا اللغة العربيَّة

٣ (ديانتهم وعوائدهم) يوحدون الله ويحبّون عليًا محبّة عظيمة ويسمونهُ « علي رشّ » ولا يعرفون صومًا ولا صلاة بل يكرهون من كان منهم يفعل ذلك كل الكراهية وفي اغلب الاحيان يشاركون اليزيديّة في بعض حفلاتهم الدينيّة وفي زيارة مزاراتهم (راجع المشرق ٢ : ٣٩٥) . ولهم عادة دينيّة قبيحة منكرة وهي انهم يجتمعون في ليلة يعيّنها الرئيس في كل سنة عند مدخل مغارة عظيمة سرّيّة يحيونها في الاكل والشرب والقصف واللهو تُعرف عندهم « بليلة الكفشة » كما سماها الصارليّة ويختمونها بارتكاب اشنع المنكرات ويحضر تلك السنّة الذكور والاناث من صغار وكبار (راجع ايضًا المشرق ٢ : ٧٣٢ وكتاب الفاضل ڤيتال كينه ص٧٧)

ومن عوائدهم ان الرجال منهم اذا تناولوا الطعام يقبضون باليد اليسرى على شواربهم ليرفعوها لكي لا تتلوّث بالطعام وباليد اليمنى يأكلون ولا يجوز لهم البتة حلق شواربهم او لحاهم وجميع الملل تكره الشبك وقد اصطلح المسلمون في تلك الديار على تسميتهم بالعُوج جمع أعوج لاعوجاج مذهبهم واذا خاطبوا الواحد منهم نادوهُ : « يا أعوج »

٤ (صناعتهم) الفلاحة وتربية المواشي

خاتمة في فصول عامة بين اصحاب هذه الاديان الثلاثة

ان هذه الاجيال الثلاثة وان تباينت اديانها واختلفت مذاهبها الّا ان بينهم جامعة واحدة تجمع اصحابها وتأخذ برقابهم وتسوقهم جميعًا الى عنصر واحد وهو العنصر الكردي في الاصل وعلى الاغلب وان كان بينهم عدد عديد من الفرس . وهذه الرابطة هي ملامح الوجه وتقاطيعهُ فانك ترى الباجوران والصارليّة . والشبك كالكرد مفتولي الخلق شديدي العَضل طوال النجاد لطيفي الأطراف سُمر البشرة قُنْي الانوف يغلب على عيونهم الدُبسة (لون بين السواد والحمرة) وعلى شعورهم السواد . واسنانهم بيضاء براقة متناسقة متضامّة وافواههم واسعة وصدورهم رحبة وغير ذلك من الفصول المميّزة للاكراد وبالخصوص يغلب على اخلاقهم الجَنَف والعُنْف والهمجيّة والعُنجهيّة على نوع لا تُرى الّا في الاكراد وشرٌّ من ذلك انها معقودة بالحقد والضغينة اللتين تخفيهما المداهنة وتظهرهما الغِرّة حتى انهُ :

يلقاك والعسل المصفّى يُجتنى من قوله ومن الفعال العلقمُ